مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 07 العدد: 02 جوان (2023 ) ص 688-696

# جدلية الأنا والآخر بين الهاجس النفسي والكتابة الروائية رواية الأجنبية لعالية ممدوح – أنموذجا -

# The dialectic of the self and the other between psychological obsession and novelistic writing Alia Mamdouh's foreign novel as a model

أحمد أمين بوضياف *

حامعة المسيلة ( الجزائر)

Ajmedamine.boudiaf@univ-msila.dz

**معلومات المقال**

تاريخ الارسال: 2023/01/30

تاريخ القبول: 2023/05/18

**الكلمات المفتاحية:**

- ✓ الرواية
- ✓ .الأنا.
- ✓ الآخر.
- ✓ جدلية:

**الملخص:**

تعتبر الرواية الفضاء الأنسب الذي تنشب داخله مجموعة من المواجهات والصراعات تتجلي في أشكال مختلفة ، ولعل من أبرز ما توقف عنده النقد الحديث في الدراسات الروائية فكرة الأنا والأخر أو الأنا والهو والتي تعبر عن اختلاف وجهات النظر من الذات الكاتبة المبدعة داخل الكيانات والمنظومات الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية التي تتواجد ضمنها هذه الذات لذا جاءت هذه الورقات البحث لتقف عند بعض من تمظهرات هذه الجدلية في الرواية العربية المعاصرة ولم نجد أفضل من كتابات الروائية العراقية عالية ممدوح لنبرز من خلالها مختلف هذه التمظهرات.

***Article info***

*Received* 30/01/2023

*Accepted* 18/05/2023

***Abstract :***

*The novel is considered the most appropriate space in which arise a set of confrontations and conflicts that manifest themselves in different forms. From then on, these research dissertations came to be situated at some of*

*المؤلف المرسل

*the manifestations of this dialectic in the contemporary Arab novel, and we have not found a better one than the writings of the Iraqi novelist Alia Mamdouh to highlight at through them the various manifestations of these manifestations*

**Keywords:**
- ✓ *novel:*
- ✓ *him:*
- ✓ *self:*
- ✓ *dialectic*

يأخذ موضوع الأنا والآخر – ولا يزال-أهمية بارزة في الكتابات الفكرية والنقدية وفي شتى العلوم الإنسانية، حيث شكلت حالة الصراع التي تعيشها الأنا ضد الآخر، من حيث سعيها إلى إضفاء أثرها وبيان وجودها في مختلف جوانب الحياة.

وفي مجتمعنا العربي تزداد حالة التجاذب هذه حدة نظرا للمنظومة القيمية السائدة فيه المبنية على رفض للعديد من الصفات التي تنفرد بها الأنا أحيانا عن الآخر الذي هو المجتمع في تجليه الجمعي.

ولم يكن غريبا أن تحفل الخزانة الأدبية العربية بالعديد من النماذج الروائية والشعرية التي تعبر بشكل صريح أو ضمني عن هذا الصراع ، ولعل ما يطلق عليه بالأدب النسوي أو الأدب الهامش هو الاكثر تجليا في التعبير عن جدلية الانا والأخر

**في المفهوم الفلسفي للأنا :**

يجتمع معظم الفلاسفة على أن مفهوم الأنا: **" ضمير المتكلم، وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما مطابق لنفسه وليس من اليسير فصله عن أغراضه. ويقابل الآخر والعالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهو أساس الحساب والمسؤولية "**[1] باعتبار أن الأنا بالمعنى التقريبي له هو " النفس " و نجد ذلك عند الكثير من الفلاسفة وعى رأسهم الفيلسوف **" روني ديكارت"** (1560 - 1596)، بحيث **يقول: " أنا أفكر إذا أنا موجود"**[2].

**فديكارت** يرى بأن الفكر مرتبط بالوجود فكوننا موجودين يعني أننا دائما نفكر في صحة الأشياء من حولنا وهذا التفكير يبنى على أساس الشك ليصل بذلك إلى حقيقة مفادها **" أنا صفة التفكير"**[3].

وتتوسط الأنا في علم النفس . خاصة عند **(فرويد)** ـ عناصر الجهاز النفسي وتقع بين لهو والأنا الأعلى، **" مشكلة حلقة اتصال بين الحاجات الغريزية والعالم الخارجي، الذي تقوم بنقله إلى لهو وما فيه من نزعات، محاولة أن تضع مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة الذي يسيطر على لهو"**[4]، ويحصر **(فرويد)** حدودها في الشخصية وما تحويه من ميول وعواطف، وما تحققه من اتصال مباشر بعالم الواقع، ولا يغفل دروعها الأخلاقي من خلال محافظتها على القيم ورعايتها للتقاليد، وارتباطها بالشعور.

ويرى **(هيدجر)** أن طبيعة الأنا تتوزع بين توقفها على الآخر من جهة، واستقلالها عنه من جهة أخرى، وأن هذا الأخير يحاصرها ويوقف تميزها وتفردها، وحرية تحد من حريتها، لأن **" الآخر يدخل عنصرا مقوما في صميم وجود الأنا وماهيتها "**[5].

أما في كتاب **" الذات عينها كآخر"** نرى أن **"بول ريكور baul ricoeur" يرى أن "الذات "** ليست هي الأنا نفسها حيث يقول: **" الكلام على الذات ليس كالكلام على الأنا"**[1]، من ذلك نفهم الذات أوسع دائرة من الأنا ويبقى مفهوم الأنا متعدد المدلول يتعدد باستخدام المنظرين فيرمز له مرة بالأنا وأخرى بالذات.

ويأخذ مفهوم ومسمى الأنا عند **حنفي** الأنا العربي الإسلامي[6] والأنا الشرق[7] والأنا الحضاري[8]، والأنا القديم[9]، الأنا العالم الثالث[10]، فلم يتوقف عند مفهوم ومسمى محدد ومعين لهذه الأنا، فنجده أحيانا يعني بها المجتمعات الإسلامية وأحيانا أخرى دول العالم الثالث أو الدول العربية[11]، وكأنها تعني معاني مختلفة بالرغم من تداخلها في الموقف الحضاري الذي يريد حنفي أن يتخذه بشكل صحيح، ويبقى الآخر المقابل لهذه الأنا المتعددة هو الغرب.

فحينما نستخدم مصطلح "الأنا" أو "الذات" فإن المقصود هو ذلك القيم المعيارية المتعالية على زمان والمكان وإذا اختزلنا دائرة الأنا فإننا نجدها تصب في الاستخدام الشائع وهو الشرق في مقابل الغرب[12]، فالآخر اعتبر الشرق مفهوما يمثل نقيض

الغرب وداخل امتداده المباشر لكنه اقتصر على الشرق الأكثر قربا الذي كان ولا يزال الغرب يحتك به وهو يضم العالم العربي إيران وتركيا[13].

عبر الشرق على **"المنطقة العربية الإسلامية باعتبارها مركبا حضاريا ثقافيا يمثل قسما من دارالإسلام تعرب شيئا فشيئا انطلاقا من نواة تاريخية معروفة وبرز إلى وجود العالم منذ القرن السابع الميلادي وقذف بإشعاعه الحضاري في جانب هام من آسيا وإفريقيا وبدأ يعي نفسه وعيا قوميا حاسما انطلاقا من أخريات القرن التاسع عشر"**[14]، وفي موضع آخر **"فإن التاريخ يعود بنا إلى جذوره الأولى إذ كان مدلوله يشمل كل من سوريا ومصروبلاد الرافدين، واتسع ليشمل الجزيرة العربية، وفارس وتركيا، ثم امتد في مراحل لاحقة ليشمل الهند والصين واليابان وإليهما من بلدان آسيا، فقد جعل الآخرلدى الغرب يأتي في مقابل الإسلام"**[15]كذلك الشرق عند "هانش" في كتابه "الشرق الخيالي " **"أن الشرق عبارة عن اختراع غربي تنبع صيغه المختلفة والمتعاقبة من المراحل البطيئة التي مربها ميلاد الغرب ومربها وعيه بذاته"**[16]فالشرق والغرب، بالمعنى المتداول لهما، مصطلحان لا يعنيان شيئا من الناحية الجغرافية إذا، فلا الوطن العربي يقع شرق أوروبا . كتحصيل حاصل .تقع غرب الوطن العربي .

وهذا ما يمكن أن يكتشفه بسهولة كل من يستطيع تهجئة الخرائط الجغرافية، ما لم تكن الخرائط المتداولة قد تواطأت على خطأ شائع.

فالشرق والغرب في نهاية المطاف مصطلحان جغرافيان يراد بهما أشياء غير جغرافية[17].

وقد يكون السبب في ذلك **"أن الذاكرة الأوروبية لا تريد أن تتخلى عن فكرة كون الوطن العربي ولاسيما شمال إفريقيا ومصروالشام كانت في يوم من الأيام جزء من الإمبراطورية الرومانية الشرقية"**[18].

فقد حظي الشرق باهتمام بالغ من الدارسين والباحثين الغربيين، ومن المؤسسات الفكرية والسياسية والاقتصادية كذلك، ولعل الموقع الجغرافي الذي يتمتع به الشرق، وما يمتلكه من موارد طبيعية ضخمة، جعله في صلب اهتمام الغرب، الذي أحدث عشرات مراكز الأبحاث التي تعنى بالشرق وشؤونه[19].

وهكذا يتضح لنا أن صورة "الأنا و"الذات" عبارة عن منظومة سيكولوجية اجتماعية تتحدد بطبيعة تطورية خاصة حيث أن صورة الذات هي نسق تصوري تطوره الكائنات البشرية، أفرادا كانت أم جماعات وتتبناه وتنسبه إلى نفسها.

ويتكون هذا النسق التصوري من مجموعة من الخصائص الفيزيقية والنفسية الاجتماعية، ومن عناصر ثقافية كالقيم والأهداف والقدرات التي يعتقد الأفراد أو تعتقد الجماعة أنها تتم بها، وهكذا تبدو "الأنا" الفردية أو الجماعية من خلال الشخصية، وتتبلور من خلال الواقع المحيط بها فيؤثر فيها ويكون له أبلغ الأثر في تكوين الذات أو الشخصية بكل ما تحمله من خصائص سيكولوجية أو اجتماعية[20].

**في المفهوم الفلسفي للآخر**

يعتبر الآخر هو النقيض والمقابل للأنا حيث تطلق الكثير من المصطلحات للتعبير عنه مثل شتى ومختلف، ومتميز التي تدل بوضوح على تميز الآخر وتفرده عن الأنا والخارج عنها، حيث تدل كلمة متميز على الميزة العقلية التي تثبت وجود الغير وتفرده على الأنا

ففي الفلسفة المعاصرة، فقد شاع هذا المصطلح كثيرا خاصة عند الفلاسفة الفرنسيين **جان بول سارتر، ميشال فوكو، جان لاكان، إيمانويل ليفيناس** وغيرهم،

يعد "الآخر" بالنسبة إلى "**سارتر**"، شانه في ذلك شان **" لاكان"** عاملا فعالا في تكوين الذات، فوعي الذات الوجودي يكون بناء على الطرف الآخر، بل ينطوي على أداء يدمر إنسانين لأنه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلة بين لحظتي "ما كان"

و"ما سيأتي"، فهذا الوضع يجعل الكينونة تتصرف بطريقة مخجلة بسبب الآخر الذي يمنع تماما حرية الاختيار، لذلك اختتم "**سارتر**" مسرحيته لا مخرج بمقولته المشهورة "**الآخرون هم الجحيم**"[21]،وهنا ربط **سارتر** بين الآخر والجحيم إذ جعل الآخر بالنسبة لنا هو الجحيم.

أما عند "**ميشال فوكو**" فإن الآخر "**متعلق بالذات تعلق لا فكاك منه، شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، فالآخر بالنسبة إلى "فوكو" هو "الهاوية" أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب**"[22]وكما يرى "**فوكو**" فإن الآخر هو الموت بالنسبة للجسد الإنساني.

ويعرف **جميل صليبيا** الآخر أنه: ولفظ "الغير" في علم النفس مقابل للفظ "أنا" فكل ما كان موجود خارج الذات المدركة أو مستقلا عنها كان غيرها ونحن نطلق على الشيء الموجود خارج "الأنا" اسم "اللاأنا" أو "الآخر"، فالأنا إذا هو الذات المفكرة والموضوع الخارجي هو "الآخر"[23]، وينطلق **صليبيا** في تعريفه للآخر من تمييزه للغير المقابل للأنا والخارج عنها. والمتميز بالاستقلالية عن الذات، فالآخر هو اللاأنا أي ليس ذاتي المفكرة بل هو موضوع خارج عن ذاتي مهما كان شكله، وعن طريقته تتعرف الأنا عن نفسها وأحوالها بواسطة الأحكام والمقارنات التمييزية

التي تعقد بين الأنا والآخر. ونجد كذلك (**جاك دريد**) من خلال اعتماده على خطاب **ليفيناس** فهو يرى: "**أن الآخر هو المصدر الحقيقي لأن الأنا لا تستطيع خلق خارجية ضمن نفسها دون أن تصطدم بالآخر**"[24].

إن الآخر لا يقتصر على فرد بل **هو**: "**فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو الأنا فإذا حددنا هوية الأنا كان الآخر فردا أو جماعة**"[25].

وهنا يتضح لنا أن مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلفا عنها ولهذا لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة، فهو فقط يختلف عن "الأنا" ولكل وجهة نظرة يقول "**بوشعيب الساوري**" : "**الآخر هو الذي يخالف الذات والعقيدة والثقافة ويظهر الآخر كالمستعمر للأنا والعلاقة معه محكومة بالتصادم والمواجهة**"[26].

ومن كل ما سبق نستنتج أن "الآخر" هو الغير سواء كان الخصم الذي اصطدم مع الذات وكان معاديا لها ومتمردا عليها في كل الأحوال لا يمكن أن يعيش الأنا غياب الآخر لأنهما رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما (انفصال/اتصال) فهما بالضرورة متلازمان.

يرى **الطاهر لبيب** أن الآخر بالنسبة للشرق "**هو الغرب تحديدا، في الخطاب العربي والإسلامي المعاصر أكد ذلك في الستينات، ويمكن التأكد منه الآن ميدانيا**"[27].

أما الغرب "**فهو تركيب حضاري ثقافي أيضا تطور بفعل عوامل خارجية وداخلية من المجموعة الدينية المسيحية كقوة تضامن إلى مجموعة حضارية ابتداء من القرن السادس عشر وكانت نواته أوروبا الغربية وشهد نهضة ثقافية فإصلاحا دينيا فحركة تنويرية، فثورة سياسية، فثورة صناعية**"[28].

فالآخر بالنسبة للعربي أو المشرقي هو الغربي بكل ما يحمله من آمال وأفكار وطموحات وإيديولوجيات "**ويمثل الغرب فكرا وخبرة مضادة بالنسبة للشرق إ ذ أصبح حضوره في مشاريعنا المستقبلية حضورا مزدوجا: نحن نستحضره كخصم نخشاه وفي ذات الوقت كمثال ونموذج يفرض علينا الاقتداء به بشكل من الأشكال على الأقل في مجال للعلم والتكنولوجيا**"[29].

**ثالثا- جدلية "الأنا" و"الآخر":**

جدلية العلاقة بين الأنا والآخر لا يمكن تجاهلها أو عدم الاقرار بها، إذ أن طبيعة الحياة الإنسانية تدفع إلى نشوء هذه الثنائية، وتجعل كل طرف منها شرطا لوجود الآخر وفهمهووعيه، والاعتراف به"**فالآخر حتمي للذات كما هي حتمية له فقطب**

**الذات الأنا لا يستطيع أن يعيش إلا في علاقة بقطب الآخر الغير، حقا إن المرء يولد بمفرده، لكنه لا يحي إلا مع الآخرين وللآخرين وبالآخرين"**[30]

وغالبا ما ينظر "الأنا" على نفسه أنه الأكمل والأفضل، و" الآخر" هو الناقص والخاطئ وهذه النظرية الضدية بين "الأنا" و" لهو" هي في مصدر تعدد "الأنا" و" الآخر" في المجالات السياسية والفكر والفلسفة والأدب إلى غير ذلك من مجالات الحياة والمعرفة، فلقد تجلت العلاقة بين " الأنا" و" الآخر" في سياقين مختلفين الصراع والحوار

إن هذه الإشكالية هي أحد وجوه أزمتنا الذاتية، التي لا حل لها سوى تجاوز النظرة النمطية التي ترى الحداثة الغربية من خلال ثنائية "الأنا" و" الأخر" المعتدي، فعلينا أن نمارس الهوية واختلافنا بشكل نعيد فيه ترتيب العلاقة مع ذواتنا ومع " الأخر.

وهناك من يدعو إلى نفي الغرب من حياتنا، ويرى الهوية الغربية نقيضا "للهو"، وبذلك تبدو خائفا متحصنا بها، خاصة عند مواجهة خطر خارجي، فتضيق نظرته، ويلجأ دفاعا عن الهوية إلى وضع "الآخر" في صورة نمطية [31].

" . إن جدلية " الأنا" و" الآخر" لا تعني بالضرورة أن "الأنا" عربية و" الآخر" غربي، ففي رواية إبراهيم الكاتب لإبراهيم عبد القادر المازني، يرى أن " الآخر" يمثل الريف، وفي رواية **"راضية والتنين"** ثمة أصبحت الجدلية تركز على الأدوات وأشكال "الأنا".

ومن النماذج الروائية العربية كثيرة يصعب حصرها إلا أننا اخترنا أنموذجا من كتابات الروائية العراقية غالية ممدوح التي احتوت على صراع واضح يعبر بعمق عن رؤية الروائي العربي خصوصا والمثقف عموما لهذه المسألة.

**رواية الأجنبية لعالية ممدوح (وجه من اوجه الصراع بين الأنا والآخر)**

رواية الأجنبية تحكي معاناة امرأة عراقية تعيش في بلد أجنبي تركت زوجها في العراق طلبا للحرية وبحثا عن أفق جديد، تعيش خوفا وقلقا لأنها تنتظر قرار وحكم بشأن وضعها كمهاجرة وكمواطنة فقدت أوراقها الثبوتية من العراق.

ذاقت هذه المرأة خوف كبير حقيقي وهي ترى هويتها تمحى أو تضيع بين إهمال وفساد بوروقراطية بلدها الأم، وصرامة وقسوة بوروقراطية البلد المضيف

واجهت الكاتبة مشكلة اللغة فهي لا تتقن لغة البلد الأجنبي الذي هاجرت إليه فهذا ما زادها هشاشة في كيانها ووجودها تلك اللغة الغريبة، اللغة الأجنبية، أي الفرنسية، التي تحيط بها وهي تعمل كل جهدها من أجل أن تتعلمها وهي تصفه في الرواية العذاب مع اللغة التي تواجهها لأول مرة في حياتها وتجدها صعبة وقاسية

ولم تكفها كل تلك المصائب حتى رأت نفسها في أحد الأيام وفجأة أمام إنقلاب في المعاملة من قبل جارتها أو كل جيرانها في البناية حيث تسكن كان عليها هنا أيضا أن تقاوم الكره والعنصرية وأن تقاوم برودتهم ولؤمهم وأن تحاول أن تفهم ما الذي طرأ بينها وبينهم.

وكان عليها أن تقوم هي بالخطوة الأولى وأن ترطب الأجواء وكان على الأجنبي دائما أن يكون ضحية المزاجات تتذكر بعاطفة جياشة ومنضبطة في آن، كل أفراد عائلتها التي عاشت معهم في ما مضى ولكنها تخصص لعمتها العاطفة الأكبر، إنها المرأة التي أثرت كثيرا في حياة تلك الفتاة التي أصبحت فيما بعد عالية الروائية والمرأة الحرة التي دفعت غاليا ثمن حريتها.

إنه ومن خلال القراءة المتانية والفاحصة للمتن الروائي امكننا ان نقف عند أوجه عديدة من أوجه الصراع الوجودي للأنا مع الآخر وقد اتخذ هذا الصراع أشكالا مختلفة تمثلت فيما يلي :

**الآنا والآخر صراع الجنس (ذكر/أنثى)**

لطالما سقط الرجل والمرأة ضحية للكثير من الأعراف، والتقاليد الاجتماعية التي تقوم على مبدأ الإجحاف في حق كل منهما، لأن كل تجاوز تخطي للتقاليد يعد خرقا للمحضور. لهذا ينظر المجتمع العربي عامة للأنثى بخلاف الذكر، لأنها في المرتبة الثانية الخاضعة والتابعة للسلطة الذكورية المتوارثة بين الأجيال، التي تضطهد النساء، فالمرأة كانت ولا تزال مصدر العار بالنسبة للرجل ولهذا يكرس وجوده لمراقبتها وخنقها بالعادات والتقاليد وكأنه بهذه المراقبة يسعى إلى حفظها والحرص على سلوكها وشرفها.

والكتابة التي موضوعها المرأة لابد أن يكون للجسد فيها حضور طافح ومميز، لكن ليس بالمعنى الحسي والسطحي، وإنما بالمعنى الأعمق وغير المرئي الذي يجعل الجسد المؤنث منطويا على معنى خاص، لا تفهم نسويته، إلا بالتأويل.

وهذا ما نجده في رواية **"الأجنبية"** للروائية العراقية عالية ممدوح، التي هي سيرة روائية، فيها تستذكر الساردة / البطلة طفولتها ومشوار اغترابها معلنة عن خصوصياتها، معترفة بتشظيها بين وطن لا إحساس معه بالهوية، وبين رجل لم يعد كما تريد، هو زوجها **عبد الأمير الركابي** / الآخر، الذي سبب لها الأسى وهو يلاحقها في فرنسا، مطالبا إياها بالإمتثال والطاعة.

وثيمة حكاية الشخصية الساردة/الأنا، بضمير المتكلم هي الضحية لسلطة بطريركية ذكورية محمية بقوة القانون تحاول اجتثاث ذاتها وجسدها من سجن الزوج/الآخر، الذي لا ترغب فيه. الزوج/الآخر الذي يريد إعادتها إلى بيت الطاعة في بغداد بعدما استحوذ على جميع أوراقها الثبوتية، فيما هي تروم استعادة كيانها والمضي قدما.

فلابد لمن يجلب إلى بيت الطاعة أن تكون له هوية ثابتة، وجذور راسخة في المواقع ولكن الزوج/الآخر نفسه وقد احتجز كل أوراق الراوية الثبوتية جردها من هذا الثبات، ولم يع أن هذا التجريد قد أطلقها حرة من عقال سلطاته، بسيولة هويتها الفاقدة لأوراق الثبوتية، في فضاءات لا سيطرة لأعرافه الاجتماعية أو قوانينه الشرعية عليها. فالهوية وأوراقها الثبوتية هي موضوع أساسي من موضوعات هذه السيرة: تسائلها تبحث عنها، تعري عبثية وثائقها: **" كيف يكون المرء بالمعنى الدقيق للكلمة قد تم الاستغناء عنه جسما واسما وعقلا بالصورة القانونية؟ وكيف هانحن نحاول إعادة خلقي ثانية وبواسطة قوة وبهاء الصداقة والفن والكتابة"**[32].

فالساردة/الأنا التي لا اسم لها في النص تعيش أزمة علاقة مع زوجها بعدما هربت منه، إلى بلاد أخرى... وهي مختلفة:

**" دائما تصورت أن بمقدوره الوصول إليّ ولو بطوربيد حربي، قلت له هذا في إحدى السنوات فأطلق ضحكة مجلجلة كعادته:**

**-اللعنة لديك العيوب والأخطاء كلها لكنك لا تعوضين جميع النساء اللواتي في حوزتي"**[33].

هذه اللغة الذكورية النرجسية المتغطرسة تضعها في أفق التحدي، لتأكيد هويتها، بوصفها أنثى تمتلك وعيا وإرادة على الرغم مما يعتروها من خوف في عالم لا يبالي بأمثالها... الخوف الذي خبرته من سنين سحيقة.

فما يبدو ظاهريا أنه توتر العلاقة مع الزوج، ينطوي باطنيا عن توتر العلاقة مع العراق **"كنت استميت في طلب الانفصال وكان يتفنن في توزيع إيديولوجية الطاعة "**[34]، والإذعان في عالم يملك فيه الزوج / الآخر، السلطة التي تتيح له أن يستحوذ على أوراق البطلة/الأنا **"الثبوتية الأصلية: شهادة الجنسية العراقية، وهوية الأحوال المدنية، ووثيقة الزواج**[35]، كي يتركها مجردة من كل أسلحتها "الثبوتية"/العراقية دون أن تتجرد من عبء ماضيها، ولا من ثقل العراق المبهظ الذي تحمله على كاهلها وفي داخلها.

فالمرأة سواء أكانت كاتبة أم مكتوبة، ذاتا أم موضوعا، متموضعة داخل مجتمع معين ومحكومة بعلاقات معينة، ولكن الكاتبة / الأنا ليست كأية امرأة. فهي الشخصية الأكثر توازنا في كل ما تكتب وتقول، تسمي الأشياء بأسمائها، حتى عندما تتحدث عن نفسها، فليس هناك أجدر من المرأة في الكتابة عن حالها، خاصة في الغربة.

**الأنا والآخر صراع االلغة (عربي/فرنسي)**

تنشأ الثنائية اللغوية لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية هروبا من الاضطهاد السياسي أو العرقي أو الديني أو هروبا من المرض أو الفقر بحثا عن السلامة أو الرزق، وما يحدث هنا أن الجماعة المهاجرة تتعلم لغة البلد المضيف كما أن التجارة أيضا تؤدي إلى هجرة واحتكاك لغوي، كما تحدث الهجرة كذلك لأسباب سياسية ودينية[36].

والرواية جنس أدبي يفسح المجال لمعرفة هذه الصورة من خلال صراع الشخصيات مع ذاتها من جهة، ومع ما يعرف بالآخر أو الأجنبي من جهة أخرى.

**الأنا/ العربي**

وعند تصفحنا ثنايا رواية"**الأجنبية**"لعالية ممدوح وجدنا أن صورة الأنا قد غلبت على صورة الآخر، فيكاد ينعدم هذا الأخير، وما فهمناه من قراءة الرواية أن الراوية تسترجع أحداثا كانت جزءا من حياتها، وقد أمكننا رصد ملامح للأنا العربي في وجهين ينتميان إلى حيز يحتوي الأنا دائما وغالبا ما يكون سنده :

**1)– العمة (العائلة):** هي عمة البطلة التي كانت تسكن في العراق ببغداد شارع الأعظمية بالبيت العائلي، مثلت دور الأم على البطلة لأن أمها متوفية، "**عندما أعود لذاك الحيّ وذاك الماضي، لعمتي التي دربتني على المشاكسة، فأخذت العزاء بها أفضل من أبي الذي كانت تناكده لأنها يتيمة مثلي**"[37].

حيث كانت تراقب أبسط تصرفاتها منذ صغرها، كما أنها مزقت لها أول كراسة كتبت فيها على العائلة "**وجدت تلك الصفحات قد سحقت وتناثرت على الأرض** "[38]

كانت بمثابة القدوة الحسنة لبطلتنا "**هي التي صنعت ما كان نوعا من الإيمان بجميع ما فعلت**"[39].

**2)- نهلة الشهال (الصديقة):** أخذت في الرواية دور الصديقة المقربة للبطلة " **كانت تشعرني ودون إرباك لرفقة الصداقة بأحاسيس أمومية...**"[40]، فهي نعم الصديقة بالنسبة للبطلة حيث أنها لا تجرح ولا تعيب ولا تنقب على الماضي أو شيء كهذا، فلا تتردد على إفشاء أسرارها وكل ما بقلبها أمامها لأنها لا توبخ ولا تلوم أبدا، استمدت قوتها من عندها لأن الشهال آمنت بالبطلة وأخذت قضيتها على مجمل الجد، ليست نهلة وحدها وإنما زوجها أيضا "**تصورت قولها نوعا من التخفيف عنّي، لكن عبد الأمير، زوجها العراقي، يتدخل أيضا...**"[41]، حتى هو كانت له يد في قضيتها.

مساندة نهلة للبطلة صورت لنا دور الأصدقاء الأوفياء في الحياة، لم تتركها يوما سواء في قضيتها أو في البحث عن العمل أو في مرضها... وجدنا لها بصمة حتى النهاية.

**2- الآخر/الأجنبي :**

وجود الآخر الأجنبي في رواية الأجنبية دائما ما ورد في صورة المواجهة لكن ما وجد في هذا النص الروائي هو صورة أخرى للاخر الاجنبي حيث وجدت في سياق الحوار لا الصراع نذكر مثالين:

**1-هيلين سيكسو:** مقيمة بفرنسا وهي خبيرة بالإبادات والمجازر تعرفت عليها في جامعة السوربون في السانت دي عام 1998 وهي من أصدقاء الكاتبة المقربين " **أغلى صديقة في حياتي** "[42]، مرت عدة أعوام على تعرفهما، كانت كثيرة الزيارات لشقتها تشجعها على تعلم اللغة الفرنسية "**واصلت إرسال كتبها الفرنسية الصادرة تباعا إليّ بإهداءات خارقة للعادة وكلها تحث على التعلم لكي أقرأها**"[43]، ففي أحد الأيام قالت هيلين للكاتبة " **أنت الكاتبة الأجنبية الوحيدة التي نشأت بيني وبينها صداقة ثمينة وهي لا تقرأ لي إلا عبر التراجم، وأنا لا أفضّل ذلك أبدا**"[44]، لقد استفزت الكاتبة بهذا الكلام "**فجأة، كانت اللغة الفرنسية تقتص منّي من خلال كلام هيلين**"[45]، فهي تحاول بكل ما استطاعت لتعلم هذه اللغة رغم سنها المتقدمة.

كان حديث **هيلين** والكاتبة في بعض الأحيان عن الأوجاع وقصص الحب الخائبة، اقترحت عليها أن ترتبط بعشيق فرنسي **"أظن حان الوقت للبحث لك عن عشيق فرنسي"**[46].

كان هذا الأمر شبه مستحيلا بالنسبة للكاتبة لأن صحتها بدأت بالتدهور وهي ملازمة الفراش في الآونة الأخيرة فحتى العشيق الذي تحدثت عنه **هيلين** لن يصمد معها ومع وضعها الصحي **" صرت عشيقة مباركة للنوم"**[47].

**2- المحامي Alain Dumesnil:** هو رجل فرنسي الأصل مهنته محامي، قارئ ممتاز للأدب العربي مثقف ومتفهم لشؤون العرب، تعرفت عليه الكاتبة في جامعة السوربون عبر زميلتها **رولى النابلسي**، طرحت عليه قضيتها الصعبة نوعا ما فبدأ الاشتغال عليها **" كان الملف الذي خاطبت المحامي من أجله يتكون من ورقة واحدة يتيمة، هكذا تصورت في البداية..."**[48]، كان يشعرها بالثقة في كلامه وأنه لا يوجد مستحيل أبدا كأنه فقد أعطاها أملا وآمن بقضيتها الشبه مستحيلة "**رجل قانون صارم، حازم وكيس ومتفهم وحنون بصمته حتى. كنت أشعروأنا في حضرته أو حضرة جميع الصديقات، أن ليس هناك أيّ مستحيل**"[49]، كما أنه لا يتقاضى أي أجر من عندها لأنه يعلم بوضعها المادي السيء في تلك الفترة ولكي لا يحرجها يطلب بدل ذلك نسخته من رواياتها "**أتعابي معفاة معك كالعادة... إذا ترجمت رواية جديدة لك أريد نسختي كما في "النفتالين" و "الولع" "**[50]، قاتل معها في قضيتها حتى النهاية حتى حصولها على جواز سفرها العراقية.

**ومن خلال ما سبق يمكن القول أن"الأجنبية"**لم تنو سوى أن ترينا كيف كان عليها أن تواجه أزمة اللغة وغموضها، في قولها: **" فتعلم الفرنسية يستنزفني تماما، كما هو بلدي. يسحب الدم من عروقي، وما كنت أمتلك الأمان اللغوي وهذا ما صعب عليّ الأمور كأجنبية"**[51].

**الهوامش:**

[1] وهيبة مراد : المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2007، ص 95.

[2] - أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2009 ص 192.

[3] - أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، ص191.

[4] - سيجموند فرويد : الأنا ولهو. تر. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الإسكندرية ط 4، 1982، ص 41.

[5] - عبد الرحمان بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 85.

[6] - حسن حنفي (1998)، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي، مرجع سابق، ص36.

[7] - حسن حنفي (1992)، مقدمة في علم الاستغراب، مرجع سابق. ص23.

[8] - المرجع السابق، ص45.

[9] - المرجع السابق، ص 63.

[10] - المرجع السابق، 495.

[11] - ريدان يوسف (1997) الاستغراب جذوره ومشكلاته، من كتاب جدل الأنا والآخر قراءات نقدية في فكر حسن حنفي، مرجع سابق، ص150.

[12] - محمد عابد جابري: الغرب والإسلام، مجلة العربي، ع 503 الكويت، أكتوبر 2000 ص 08 /09

[13] - محمد نور الدين آية، المتخيل والتواصل، مفارقات العرب والغرب، دار المنتخب العربي بيروت ط 1993 ص 99.

[14] - عامر جميل الصرايرة: جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام 2001 .2011 مخطوط دكتوراه في اللغة العربية، مؤتة، 2013 ص 11.

[15] - محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام مجلة العربي، ع 503، الكويت أكتوبر 2000، ص 08 / 09.

[16] - الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص 93.

[17] - نحن والآخر دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي ص 08.

[18] - لويس برنارد، الغرب والشرق الوسط ص 37، نقلا عن محمد راتب الحلاق نحن والآخر ص 03.

[19] - من ذلك على سبيل المثال: معهد العالم العربي في باريس، ومعهد الشرق الأدنى في واشنطن، ومعاهد الدراسات العربية في جامعات بريطانية وألمانية وفرنسية مختلفة.

[20]- نفس المرجع السابق، ص10.

[21]- ميجان الرويلي ود، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر تسعين تيار أو مصطلحا نقديا معاصرا )، ص 22، مرجع سابق.

[22]- (ينظر)، نفسه ص22.

[23]- صليبيا جميل : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1982، ص 23.

[24]- ميجان الرويلي وسعد البازغي : دليل الناقد الأدبي، ص23.

[25]- مصلح النجار: الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية الأهلية، الأردن، ط1، 2008، ص51.

[26]- بو شعيب الساوري : تمثيلات الهوية والآخر قراءة ثلاثة نصوص روائية في الرواية الجزائرية رابطة أهل العلم ط1، 2008، ص 52.

[27]- الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص 93.

[28]- عامر جميل الصرايرة : جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة ص 12.

[29]- إدوارد سعيد الاستشراق : المفاهيم الغربية للشرق رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ط1، 2006 ص 42.

[30]- فاضل أحمد القعود : جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي دراسة نصية دار عنداء، ط1، 2012، ص33.

[31]- نفس المرجع السابق ، ص 17.

[32]- الرواية، ص 120.

[33]- الرواية، ص 19.

[34]- الرواية، ص 12.

[35]- الرواية، ص 11.

[36]- محمد علي الخولي، هندسون، علم اللغة الاجتماعي، تر : عياد محمود، عالم الكتب، ط3، مصر 2002، ص 60.

[37]- الرواية، ص 34.

[38]- الرواية، ص 29.

[39]- الرواية، ص 226.

[40]- الرواية، ص 14.

[41]- الرواية، ص 15.

[42]- الرواية، ص 64.

[43]- الرواية، ص 64.

[44]- الرواية، ص 63.

[45]- الرواية، ص 64.

[46]- الرواية، ص 145.

[47]- الرواية، ص 147.

[48]- الرواية، ص 106.

[49]- الرواية، ص 115.

[50]- الرواية، ص 115.

[51]- الرواية، ص 64.